

تقريباً كعباً لمريم

والدروس المستفادة منها



السيرة
والتدوين في السيرة النبوية

قام بها فريق التفریغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفریغا لمحاضرة

بعنوان

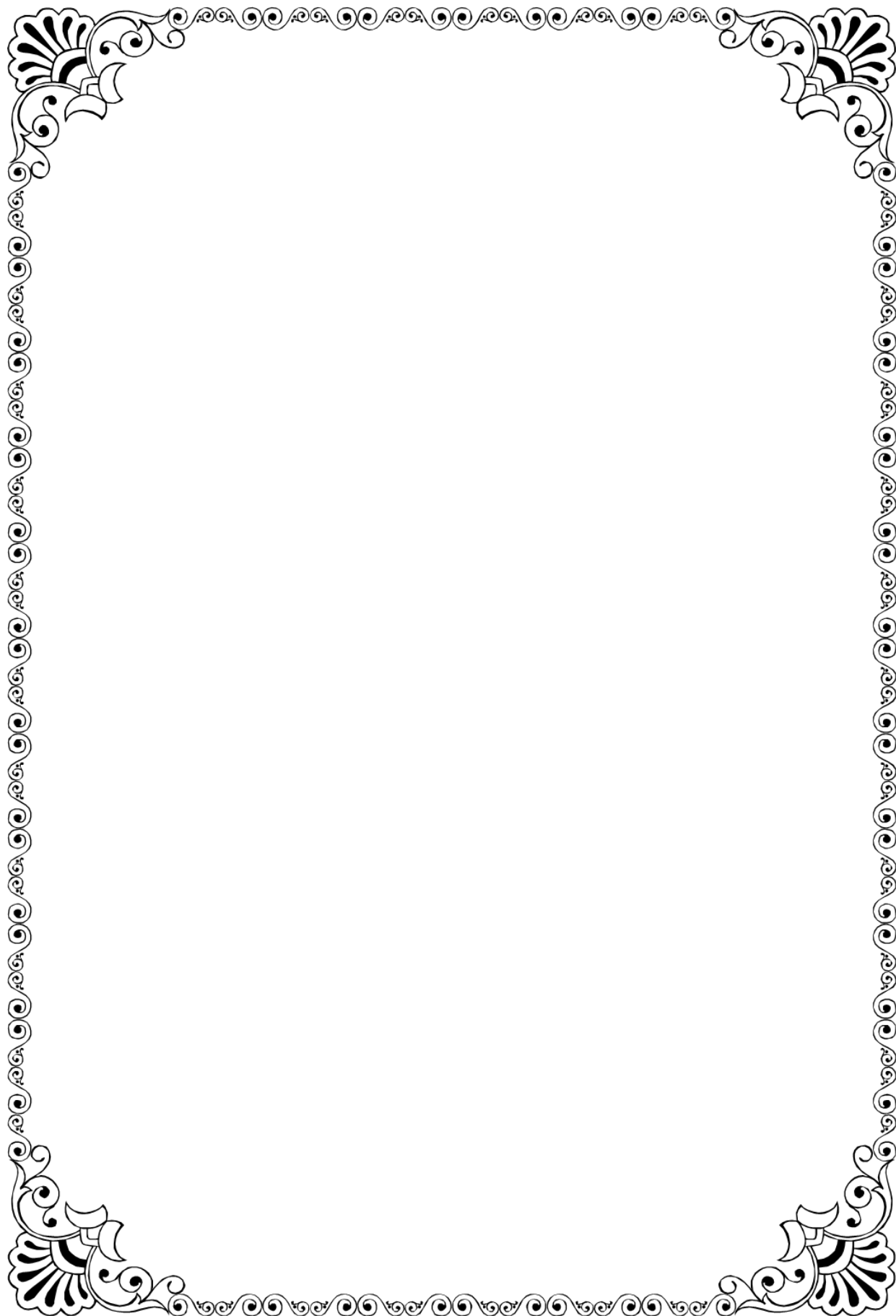
توبة كعب بن مالك والدروس المستفادة منها

للشيخ

د. محمد بن غالب العمري

حفظه الله





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيّه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

✽ ففي هذه الكلمة اليسيرة إن شاء الله أذكر شيئاً من الدروس والفوائد المستفادة من حديث أو من قصة كعب بن مالك ومن توبته -رضي الله عنه وأرضاه-.

قبل البدء في ذكر هذه الفوائد والدروس نذكر الحديث أولاً بتمامه والحديث جاء من روايات وطرق مختلفة؛ ومن هذه الطرق:

ما رواه مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال كعب: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَبْرِي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهُ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَعَزَاها رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ - يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيُونَ - قَالَ كَعْبٌ: فَقُلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيُخْفِي لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَعْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَفْضِ شَيْئًا،

وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدِّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مَمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عَطْفِيهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بَنِ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبِضًّا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا حَيْثِمَةَ» فَإِذَا هُوَ أَبُو حَيْثِمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُتَنَافِقُونَ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَنِي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكُذْبَ وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، رَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَاحِرُجٌ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، لَيْسَ حَدِيثُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ وَلَيْسَ حَدِيثُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُدْرٌ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَمَنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ صَدَقَ، فَتَمَّ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» فَتَمَّتْ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا

تَكُونُ اعْتَدَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِمَا اعْتَدَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخْلَفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ، اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنَّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِي هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسُوءَةٌ، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، قَالَ وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضِ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجَلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفِيتِيهِ بَرْدَ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا التَّمْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمَنْ أَنِّي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَفَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانَ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكُ، قَالَ فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتَهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَامَمْتُ بِهَا النَّوْرَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَاتِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزَلْهَا، فَلَا تَقْرَبْنَهَا، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هَلَالِ بْنِ

أُمِّيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بَنِ أُمِّيَّةَ شَيْخٍ ضَائِعٍ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ» فَقَالَتْ: إِنَّهُ، وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَّا إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ؟ فَقَدْ أَدِنَ لَامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمِّيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلْنَا لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَن كَلَامِنَا، قَالَ ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَيَّ سَلَعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبَشِّرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، قَالَ: فَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَزَعْتُ لَهُ نُوبِيَّ فَكَسَوْنَاهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ مَا أَمَلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ نُوبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَاَنْطَلَقْتُ أَتَاءَمُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بِالتُّوبَةِ وَيَقُولُونَ: لَتَهْنِئَكَ تُوبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ» قَالَ فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَانَ وَجْهُهُ قِطْعَةً قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تُوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ، قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تُوْبَتِي أَنْ لَا أَحْدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ

اللَّهُ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿التَّوْبَةُ مِنَ الْآيَةِ ١١٧ إِلَى الْآيَةِ ١١٨﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التَّوْبَةُ الْآيَةُ ١١٩]، قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي، مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذْبُهُ فَاهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا، حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ، شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ. وَقَالَ: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴿١٢٠﴾﴾ [التَّوْبَةُ مِنَ الْآيَةِ ٩٥ إِلَى الْآيَةِ ٩٦]، قَالَ كَعْبٌ: إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَأْوَنُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٠﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [التَّوْبَةُ مِنَ الْآيَةِ ٩٥ إِلَى الْآيَةِ ٩٦]، قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِفْنَا، تَخَلَّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ" (١).

هذا تمام الحديث، وجاءت هناك روايات وزيادات أخرى.

كهما الدروس المستفادة من هذا الحديث؛ فهي كثيرة جداً لا يتسع لها مثل هذا المقام، وإنما سأورد بعضاً من هذه الفوائد التي استنبطها أهل العلم ولا سيما فيما يتعلق بأمر توبة كعب بن مالك وصاحبيه - رضي الله عنهم أجمعين -.

▲ جاء في هذا الحديث ما يدل على فضيلة كعب - رضي الله عنه وأرضاه - وعلى صدقه.

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 7) برقم: (2757) ومسلم في "صحيحه" (2 / 156) برقم: (716)

▲ وجاء في الحديث في أوله ما يتعلق بالغزو في الشهر الحرام، والتصريح بجهة الغزو إذا لم يكن في المصلحة ما يقتضي الإصرار بذلك.

▲ ويدل الحديث كذلك على أن ولي الأمر إذا دعا الناس واستنفرهم للجهاد فإن ذلك يلزمهم إلا من كان له عذر من الأعذار؛ كالمرضى ونحو ذلك.

فلذلك أمر النبي ﷺ الناس ليخرجوا معه واستنفرهم، ولم يتخلف من الصحابة أحد إلا هؤلاء الثلاثة الذين صدقوا رسول الله ﷺ، وأما غيرهم ممن تخلف فأتى بعذرٍ ربما كذب فيه كما حصل من أهل النفاق.

▲ مما يدل عليه الحديث: استخلاف ولي الأمر من يقوم مقامه على أهله وعلى الضعفة، وفي الحديث كذلك ترك قتل المنافقين، وهذا قد بينه حديث آخر؛ وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: «دَعُوهُ، لَا تَحَدِّثُ النَّاسَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»⁽¹⁾.

▲ وفي الحديث كذلك عظم أمر المعصية.

☞ فتأمل في هذا؛ هؤلاء الثلاثة الذين خلفوا كما قال أهل العلم: "ما أكلوا مالا حراما، ولا سفكوا دما حراما، ولا أفسدوا في الأرض".

فحصل لهم هذا الأمر العظيم من الهجر، وما انبنى عليه مما ضاقت عليهم الأرض وضافت عليهم أنفسهم ومع ذلك أمر الله -جلاله- بهجرهم، وهجروا حتى من أزواجهم في بيوتهم فكيف بمن يواقع الفواحش؟ ومن يخوض في الكبائر؟ ومن يأكل المال الحرام؟! كيف بمن يُفسد في الأرض؟ إذا كان هؤلاء إنما هؤلاء تخلفوا ولم يحصل منهم من أمر الحرام، أو من الفواحش ونحو ذلك ومع هذا حصل لهم هذا الأمر، ثم علم الله -جلاله- وهو ﷺ يعلم الأمر قبل وبعد، يعلم صدقهم فأنزل عليهم هذه التوبة التي صارت منقبة من مناقبهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

▲ في الحديث كذلك: بيان خطر الخذلان، وعدم الانقياد لولي الأمر فيما يأمر به؛ سواء كان في مواجهة عدو داخلي، أو عدو خارجي، وأن الواجب في ذلك التكاتف والتعاون والصبر.

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 183) برقم: (3518)

كذلك من فوائد الحديث: فضل أهل بدر لما جاء في قول كعب رضي الله عنه -.

وكذلك فيه رد الغيبة عن المسلم كما صنع معاذ رضي الله عنه، وهكذا ينبغي على المسلم إذا سمع من يتكلم في أخيه بكلمة نابئة أو بعبارة قبيحة أن يردها، وألا يقبلها، ولذلك جاء في الحديث: «**من ذبَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عنه عذاب النار يوم القيامة**»^(١)؛ هذا فضلٌ عظيم لمن دافع عن أخيه في غيبته، ولم يقبل الكلام بأمر الغيبة فيه.

كذلك من فوائد هذا الحديث: ما جاء في أمر الصلاة للقادم من السفر، وأن من السنن الواردة في ذلك عن رسول الله أنه كان إذا قادم من سفر ابتدئ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.
وفيه مشروعية السلام على القادم وتلقيه.

في الحديث كذلك: الحكم بالظاهر وقبول المعاذير، النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث أو كل سرائرهم إلى الله؛ الذين جاءوا وبينوا من الأعذار منها ما يكون صحيحًا، ومنها ما لا يكون صحيحًا، فيكل أمره إلى الله، وهذا الأصل أن أمر السرائر لا يعلمها إلا الله - جل جلاله -.

ولكن إذا ظهر ما يناقض هذه السرائر أو تبين كذب الإنسان فإنه يؤخذ بما ظهر منه، من مناقضة ظاهره لباطنه، وهكذا الأصل أن الإنسان لا يبحث عن مقاصد الناس ولا عن نياتهم فإنها أمور لا يعلمها إلا الله - جل وعلا -.

ويحرص الإنسان على أن يُعوّد نفسه على حسن الظن في موضعه، الله - جل وعلا - قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات الآية ١٢]؛ فبعض الظن إثم وإن كان بعضه ليس بإثم، لكن الظن إنما يبنى على قرائن، أو على أحوال، أما أن يسيء الظن الإنسان بإخوانه فالأصل في ذلك المنع، والأصل إحسان الظن لا سيما لمن كان أهلاً لذلك.

كذلك من الفوائد: ما كان عليه كعب رضي الله عنه من الصدق الذي ما تنازل عنه في لحظة من اللحظات؛ كما هو معلوم أن الصدق نجاة، الإنسان إذا صدق الله صدقه الله مهما كان من أحواله، ومهما كان من أقواله، ومهما كان من أفعاله فإن الصدق نجاة، وإن لم ينجك الصدق عند الخلق

(١) - أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم: (١٩٣١)، وأحمد (٢٧٥٤٣) باختلاف يسير

فإنك تنجو عند رب الخلق ﷻ؛ تنجو من الإثم، تنجو من العقوبة، تنجو من المؤاخذة؛ فتحرص أن تكون في أقوالك وفي أفعالك صادقًا.

كان كعب ﷻ قادرًا على أن يعتذر بعذر فيه كذب، لكنه تمسك بهذا الصدق فضيلة أنزل الله -جلّ وعلا- فيه وفي صاحبيه آيات تتلى إلى يوم القيامة، فيها تبرئة لهم، وتوبة عليهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

▲ وفيها كذلك؛ شؤم عاقبة الكذب، وأن الكذب ليس من صفات أهل الإيمان بل هو من صفات أهل النفاق، ولذلك قد جاء في الحديث من حال المنافق ومن صفاته قال: **«إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا»**⁽¹⁾.

▲ كذلك فيه الشهادة من النبي ﷺ لكعب حين قال: أمّا هذا فقد صدق؛ وأن هذا يدل على الشهادة بما يعلم الإنسان من حال إخوانه إذا ما حصل له أمر، فيقول: لا أعلم عنه إلا خيرًا، أو لا أعلمه إلا صادقًا، أو نحو ذلك من العبارات.

▲ ومنها كذلك أن الإنسان قد تهون عليه المصيبة إذا تأمل أن هذه المصيبة وقع بها غيره، ولذلك كعب -رضي الله عنه وأرضاه- سأل؛ هل كان غيره معه؟ فذكر له أمية وصاحبه فتسلّى بذلك، كان في ذلك عونًا له على الثبات، وهكذا ينظر الإنسان فيما قد يصاب به من مصائب أن من الناس من مصيبته أعظم من مصيبته، ومن ابتلاءه أشد من ابتلاءه فيُعينه ذلك على الاحتساب وعلى الصبر.

▲ كذلك في الحديث: ما يُبين مشروعية الهجر؛ والهجر أمر مشروع سواء في باب المعاصي أو في باب البدع؛ هجر المبتدع هذا أمر وارد وأجمع عليه أهل العلم، والأصل في ذلك: كما قال أهل العلم هو قول الله -جلّ وعلا-: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنعام الآية ٦٨].

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 16) برقم: (33)

وفي قول النبي ﷺ في حديث عائشة في قول الله -جلّ وعلا-: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عِمْرَانَ الآية ٧]؛ قال النبي ﷺ: «فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاخَذَرُوهُمْ»^(١).

ولذلك ذكر جمع من أهل العلم كالبعثي وغيره: إجماع أهل العلم على هجر أهل البدع والأهواء.

وكذلك إذا كان صاحب المعصية لا ينزجر إلا بالهجر فهذا مما ينفعه.

وأما الهجر لأمر الدنيا فهذا لا يجوز أن يتجاوز به الإنسان ثلاثة أيام؛ لأنه قد جاء في الحديث: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفِكِ دَمِهِ».

فالهجر: إنما أن يكون لأمر الدين، ولا بد من تجرد هذا الأمر في القلب، لا أن تهجر الإنسان لأجل دنياه ثم تقول: إنما هجرته لأمر دينه، فهذا الأمر مشروع.

والهجر لأهل البدع على قسمين:

- هجر التأديب والزجر.
- وهجر الوقاية.

قد لا ينزجر صاحب الضلال صاحب الانحراف، لكن تهجره وقاية لنفسك من أن تتأثر به.

كذلك فيه أي في الحديث: مشروعية تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة؛ كما صنع كعب حين سَجَّرَ التنور بتلك الأوراق التي أرسله له ملك غسان.

وفيه؛ مشروعية سجود الشكر في الحديث، مشروعية سجود الشكر وهذا السجود يكون على كل حال يحصل للإنسان نعمة أو تتجدد له نعمة فيسجد لله -جلّ وعلا- شكراً وعرافاً لله -تبارك وتعالى- بما أنعم عليه ﷻ.

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (6 / 33) برقم: (4547) ومسلم في "صحيحه" (8 / 56) برقم: (2665)

كذلك في الحديث: حسن التبشير بالخير؛ كما حصل من طلحة حينما قدم إلى كعب، وما حصل من الرجال لما جاءوا يبشرونه هذا أمر عظيم؛ وهو أن الإنسان يحرص على أن يبشر غيره بالخير، لا أن يكون فقط سبباً لنقل الأمور المستقبحة، والأمور التي فيها التخويف والحزن ونحو ذلك، وإنما يعود نفسه على أن يكون مفتاح خير ينقل للناس ما يسعدهم وما يفرحهم، ويحرص على تتبع الأخبار النافعة والكلمات الطيبة وهي الفأل ويتفأل.

▲ كذلك مما ذكره أهل العلم استحباب الصدقة لما فعله كعب بن مالك وأقره النبي ﷺ
استحباب الصدقة عند التوبة.

▲ وفيه أيضاً العزم على عدم العود إلى خطأ ارتكبه الإنسان، وأن هذا من تمام التوبة وهو من شروطها.

▲ كذلك مما ذكره أهل العلم من الاستنباط في هذا الحديث: رجوع الناس إلى الإمام في الأمور العامة والمهمة، وأنهم يكونون قريباً من إمامهم، من ولي أمرهم ينظرون في الأحوال، ويستمعون منه التوجيه ونحو ذلك.

فالحديث في الحقيقة ملئ بالدروس النافعة والعظيمة سواءً في باب فضائل الصحابة وصدقهم، أو في باب ما يتعلق بولي الأمر، أو في باب ما يتعلق بالآداب الشرعية، أو بالجوانب التربوية، ومن نظر في شروحات أهل العلم وجد الكثير من هذه الفوائد وحسبنا ما أشرنا إليه، ولعل في ذلك تنبيهاً لما لم يُذكر.

أسأل الله -جلّ وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وباسمه الأعظم أن يوفقنا للخير، وأن يصرف عنا وعنكم الشر، وأن يجعلنا ممن يستمعوا القول فيتبعوا أحسنه.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين.

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية
ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 Twitter تويتر 】

<https://twitter.com/Baynoonanet>

② 【 Telegram تيليجرام 】

<https://telegram.me/baynoonanet>

③ 【 Facebook فيسبوك 】

<https://m.facebook.com/baynoonanetuae/>

④ 【 Instagram انستقرام 】

<https://instagram.com/baynoonanet>

⑤ 【 WhatsApp واتساب 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

<https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191> ☎

أرسل كلمة "اشترك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

<https://appsto.re/sa/gpi5eb.i>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/nJrA9j>

⑦ 【 Youtube يوتيوب 】

<https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE>

⑧ 【 Tumblr تمبلر 】

<https://baynoonanet.tumblr.com/>

⑨ 【 Blogger بلوجر 】

<https://baynoonanet.blogspot.com/>

⑩ 【 Flickr فليكر 】

<https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/>

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

<https://goo.gl/Q8M7A8>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/vHJbem>

【 Vk في كي 】

<https://vk.com/baynoonanet>

【 لينكدان LinkedIn 】

<https://www.linkedin.com/in/669392171> شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية-

【 ريديت Reddit 】

<https://www.reddit.com/user/Baynoonanet>

【 تشينو chaino 】

<https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a>

【 بنترست Pinterest 】

<https://www.pinterest.com/baynoonanet/>

【 سناب شات Snapcha 】

<https://www.snapchat.com/add/baynoonanet>

【 تطبيق المكتبة 】

لأجهزة الأيفون

<https://apple.co/33uUnQr>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/WNbvqL>

【 تطبيق الموقع 】

لأجهزة الأيفون

<https://apple.co/2Zvk8OS>

لأجهزة الأندرويد

<https://bit.ly/3fFoxWe>

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

<http://www.baynoona.net/ar/>



حقوق الطبِّ ومُحفوظات

سلسلة تفریغات شبكة بئونة

تقنية كعب بن مالك

والدروس المستفادة منها



السيرة
والتاريخ
والفقه

قام بها فريق التحرير في شبكة بئونة للعلوم الشرعية

www.baynoona.net



للمزيد من التفریغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

<https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat>